شهادة

من عاش هذا الواقع في جسده

■ د. عاطف آدم محمد عجيب

لست أكتب هذا المقال من موقع الباحث المحايد فحسب، بل أكتبه أيضًا من موقع من عاش هذا الواقع في جسده. فقد أصبت بجلطة عام 2021 خلّفت شللًا في الشق الأيسر من جسدي، وبدأتُ رحلة علاج طبيعي كنت أُحرز فيها تقدمًا ملموسًا، غير أن الاضطرابات السياسية ثم الحرب التي اندلعت في السودان قطعت هذه الرحلة وفاقمت حالتي، حتى أصبحت محدود الحركة في يدي وقدمي اليسرى. لأجد نفسي، أنا الباحث في دراسات السلام، قد انضممت إلى صفوف الأشخاص ذوي الإعاقة الذين أكتب عن معاناتهم. وهذه التجربة الشخصية ليست استطرادًا هامشيًا في هذا المقال، بل هي جزء من دافعي لكتابته، إذ أدركتُ عن قُرب كيف تتضاعف هشاشة الإنسان ذو الإعاقة حين تجتمع عليه الحرب والإهمال معًا.

الحرب تضرب مرتين

حين تشتعل الحرب، تضرب ضربتها الأولى بالقذائف والنيران، لكنها تضرب ضربتها الثانية - الأشد قسوةً والأطول أثرًا - حين تُخلّف وراءها جرحى صاروا ذوي إعاقة، وتُهمّش من كانوا كذلك قبلها. في السودان اليوم، حيث تتواصل الحرب المروّعة منذ أبريل 2023، يعيش الأشخاص ذوو الإعاقة واقعًا مضاعف القسوة. فهم ضحايا النزاع المباشر، وهم في الوقت ذاته المنسيون الأوائل في منظومة الاستجابة الإنسانية.

يقول المبدأ الراسخ في دراسات السلام إن أي سلام لا يصل إلى أكثر الفئات هشاشةً هو سلامٌ منقوص لن يصمد. ومن أكثر هذه الفئات هشاشةً وأقلها حضورًا في خطابات السلام والتفاوض، الأشخاص ذوو الإعاقة، الذين تجعل منهم طبيعة احتياجاتهم الخاصة ضحايا مضاعفي التعرض للعنف في زمن الحرب، وغائبين مضاعفي التهميش في زمن السلام.